

من هنا وهناك

رسالتان عن المعذنين في الأرض

رويت لنا قصة جماعة من الناس يعدون بالملايين في مصر ، صورتها في شخص صالح الذي تجسم فيه الشقاء والحرمان ، وهي في الوقت نفسه قصة الانسانية في كل المصور ، وعند جميع الأمم .

فالشقاء يصيب الكثرة المطلقة من الشعوب ، والحرمان يلزم سواد الناس ، فلا يظفر بالنعيم إلا خاصتهم ، وما أقلهم .

على أني أرجو ألا تنسى فريقتاً آخر ينتظمهم سلك المعذنين في الأرض ، وإن كانت حياتهم للمادية سهلة ميسرة ، وإن كانوا ينعمون بملذات الحياة ويسعدون بمبهجاتها في ظاهر الأمر ، وهم في الواقع حقيقون بالرثاء والاشفاق .

فليس المعذبون في الأرض ، عندى ، هم وحدهم أولئك الذين عاشوا في البؤس وانفسوا في حماة ، فهم ينظرون إلى ما في أيدي الناس وفي أعينهم عبرة وفي قلوبهم حسرة .

وليسوا هم أولئك الذين لفظتهم أمهاتهم ونبذهم آباؤهم ، فأصبحوا حالة على المجتمع ، مشردين في الطرقات ، تنتابهم العلل والأمراض ، حتى استحقوا رحمة الانسانية وعطف المحسنين .

وليسوا أولئك الذين أضناهم الشقاء فضويت أجسامهم وذبلت نضرة شبابهم واتحمتهم الأعين وتفرزت من منظرهم النفوس .

ليس واحد من هؤلاء وأمثالهم — وإن كانوا يعدون بالملايين — بأشد عذاباً وأكثر بؤساً من جماعة أخرى ، وإن كانت قلة وفي نظر الغير سعيدة .

فليس الحرمان المادى والعذاب الجسمي بأشد أنواع العذاب وأقوى مظاهر الشقاء ؛ فإن شقاء أساسه الحرمان ومادته الحاجة قد يصبح مع الالف عادة ، وكلما طال الامد بالمحروم ألف الحرمان ونسى بؤسه وغفل عن شقائه .

وغير بعيد منك هؤلاء الأطفال الذين يتسكعون في الطرقات ، وأولئك الكبار الذين لا يجدون الكفاف ، ومع ذلك قلما شعروا بحالهم . . . تجدهم يرحلون ويمرحون ، لا يعبأون بشيء ولا يفكرون في شيء ، مات حسهم ، وتبلد شعورهم ، بل قد لا نبالغ إن قلنا إن كثيراً منهم فقد إنسانيته أو كاد ، فأصبح لا يشعر بنفسه ولا يدرك وجوده كإنسان ، إنما الذى يحس وجوده ويأسى لحاله هو ذلك الغير ممن لم تنزع الرحمة من قلبه ، ذلك الذى

يرى أن من حق ذلك المخلوق الشارد أن يعيش إنساناً كما خلقه الله ، يشعر بإنسانيته ويحرص عليها ويدافع عنها ، فلا يفقده المجتمع ليسلكه في عداد جنس آخر من المخلوقات .
إنما المذبذبون في الأرض — وعذابهم أشد — هم أولئك الذين ابتلوا بالحس المرهف والشعور الدقيق والقلب الرقيق .

هم أولئك الذين منوا بالضمير الحى واليقظة الحادة والانتباه القوى .
هم أولئك الذين يذكرون غيرهم وينسون أنفسهم ، يضحون براحتهم في سبيل إسعاد الآخرين ، يذكرون الواجبات ويسرفون في أدائها ، وينفلتون أو يتغافلون عن حقوقهم والمطالبة بها .

هم أولئك الذين يؤرقهم الفكر ، فهم يستعرضون بالليل ما قدموا بالنهار ، يحاسبون أنفسهم على الجليل والخير ، ويحسون ما ارتكبوا من أخطاء ، ويتجاوزون عما قدموا من حسنات ، فكل همهم تسجيل ما عليهم لا ما كان لهم .

هم أولئك الذين يصادفهم سوء الطالع ، يسعون للإحسان جاهدين فتسبق إليهم الاساءة ، ويحرصون على حسن الصنيع فينكبون بالجحود .

يفرضون على أنفسهم واجبات لم يطلبها منهم أحد ، وقد لا يفكر فيها أحد ، تأسرهم الكلمة الطيبة والمجاملة الرقيقة ، فتصبح ديناً في أعناقهم تجب المبادرة إلى أدائه والتفانى في سبيله ، وهم لا يهدءون إلا إن ساروا في الشوط إلى نهايته ، لا ييغون من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً .

يحملون أنفسهم تبعات قد لا تجرى على خاطر غيرهم ، ولكنهم يعدونها فريضة ، يبدونها طوراً بحق الصداقة ، وآناً بدافع المودة ، وحيناً هم واجب قوى ، فإن أعوزتهم الحيلة ، فلا أقل من شعورهم بأن هذا واجب إنسانى !

وهل أسمى من الشعور بأنك تؤدى واجباً إنسانياً ؟ ولئن تنتظر طبعاً أن تمنحك الإنسانية على صنيعك وهل تجسمت الإنسانية شخصاً تقتضيه الجزاء ؟

فلست تفكر في شيء إلا أنك تلجى نداء الضمير وتستجيب لدعاء الواجب .
كل هاتيك الخواطر والصور تمثلها حين قص على صديق قصته ، ولعلها واحدة من صور مختلفة الأشكال متعددة الألوان ، ينعكس عليها في آخر الأمر مظهر من مظاهر عذاب النفس وحيرة الضمير .

قال صديق :

« ضئفى وبعض الصجب مجلس ، فدخل زائر تربطه بالحاضرين صلة الصداقة ، فكان طبيعياً أن يتم التعارف . . . على أنى تذكرت أنا التقينا مرة منذ سنين . . . اتصل الحديث فترة ثم افترقنا على غير موعد أو تفكير في لقاء . . . فا كانت إلا زيارة عارضة .

« سمعت بعد أيام أن فلانا معتكف ، وتداعى الصجب لزيارته . . . أما أنا فاعتذرت ، فليس بيننا من الصلات ما يبيح الزيارة ، ولا يصح أن أدخل بيتاً لا عهد لى بأهله . . . وكان تصرفى سليماً في رأيى .

« ولكنى علمت في اليوم التالى أن فلاناً هذا مريض ، عند ذاك تنازعتنى عواطف مختلفة واتسببى شعور غريب ، دفنى إلى التفكير والمساءلة : ألا ترى أن الزيارة واجبة وأن المرض يقتضيها ؟ ولكن ! كيف تزور من لم تلقه إلا مرة قريية وأخرى طويها النسيان ؟

من هنا وهناك

وبأى حق تستليح السؤال ممن لا يعرفك إلا بالاسم ؟ وهل جرى العرف أن يهتم الإنسان بمن لا يعرفه ؟ ثم على أى نحو تؤول الزيارة ؟ وأى فضول هذا حتى تقتحم عليه عزله ؟
 « إذا . . . من الخير ألا أذهب ، فما من سبب يرجح الزيارة بل إن الموانع كثيرة .
 « ولكنى أعود فأقول : هل يليق بك أن تحجم وقد عاده جمع من أصدقائك ؟ ألاست تعرفه من زمن بعيد وإن لم تلقه إلا قريباً . . . وإن لم تجالس إلا مرة أو مرتين ؟ ألم تحبل إليه يوماً رسالة من صديق عزيز أنفذتها إليه من بعيد فكتب إليك ينيك بوصولها ؟ ألا تعلم أنه يدين لذلك الصديق الحب والاعجاب ؟ بلى !
 « لقد اجتمعنا ، إذاً ، على إكبار ذلك الصديق والوفاء له . فهل من رابطة أقوى من هذه وأمتن ؟

« كل هذه العواامل جعلت شخص فلان قريباً إلى قلبي ، مائلاً في خاطري ، أضمر له الصداقة الخاصة وإن لم أعلنه ، وأنظر إليه نظرة الأخوة الصادقة وإن لم أصارحه ، فما كان هذا إلا شعوراً داخلياً لا يمتداني إلى سواي ، فمن الحق إظهاره ، إن لم يكن تصويره نوعاً من الوهم قد تجسم حتى خلته حقيقة . وهل يجوز أن أخلق من الوهم حقيقة ؟ أليست هذه خواطر جالت بذهني وحججا قد أكون استعملتها لأبرر بها الزيارة ، ولا ظل لها في الواقع ولا صدى في نفس غيري .

« اختلط على الأمر ، وحرث بين الموانع والدوافع حتى اهتديت إلى حل خلته موقفاً !
 « وماذا على لو ذهبت فتركت بطاقة ؟ وقد فلتت ، على أني ما هممت بالانصراف حتى دعيت للدخول .

« كان لقاء كريم واستقبال حسن بددا ما علق بذهني من الأوهام ، وأحسست بالغبطة لأنني وفقت لأداء واجب دفعتني إليه فطرق . . .

« اتصل الحديث بعض الوقت ، ثم استأذنت وكأنيهم لم يكرهوا زيارتي أو يضيقوا بها ، فلقد تفضلوا ودعوني إلى ألا أقصر على واحدة . . . على أني وأنا أنهيها للانصراف عرضت عليهم التطوع لقضاء أمر فلم ينكروه ولم يروا مانعاً من إنفاذه ، ولعلني انتهجت لهذه الموافقة . . .
 « وكذلك عدت في اليوم التالي لأداء ذلك الواجب الذي التزمته . . . وبإلايتني لم أفكر في واجب ولم أسع إلى فعله . . . ولكن الطبع غلاب !

« كانت الساعة قد قاربت الثانية والنصف حين دخلت ، وقد وجدت من أنس فلان ولطفه ما جعلني أرسل نفسي على سجيته وفي غير تكلف أو احتياط ، نقشب الحديث وتتوع الموضوعات وتناقشنا واستعرضنا الأشخاص وأبدى كل رأييه في صراحة المطنن ولا حرج . . .
 « كنت أعرف منه كمال العقل وصفاء الفكر ، إلى خبرة بالحياة وبصر بالأمور . كذلك كنت أعتقد — مبالغة مني في حسن الظن — أني أتحدث إلى أخ كريم وصديق قديم . فلا بأس من التحلل من المجاملات !

« ألهاني الجدل والمناقشة المنطقية آناً ، والمعتمدة على المبالغة حيناً والاستطراد من موضوع إلى آخر ، عن الوقت ، فلم أذكر أني نظرت إلى الساعة أو حدثت الزمن ، ولم أتنبه لذلك إلا بعد أن هممت بالخروج . . . حين ذاك أدركت أني أسرفت على القوم فأطلت الجلوس . . . بل عرفت أكثر من هذا . يقيناً — أو ظناً — أنهم لم يتفدوا بعد . . . لقد شاهدت ، وأنا في طريق إلى السلم ، مائدة مهبة !

« فمن تنتظر إلى تلك الساعة ؟ ولمن تكون إلا لهم ! ازعجتني الملاحظة وكدت أعود
 لأعذر ولكن كيف ألقاهم بعد أن أجهدتهم وكلفتهم ذلك العناء ؟
 « فهل نسيت أنى أعود مريضاً هو أحوج ما يكون إلى الراحة ؟ وأنى فى حضرة شيخ مسن
 يشمه المكث الطويل ؟ أبلغت من سوء التقدير هذا الحد ؟ أن يعكس على الفرض ؟ أسعى
 للقيام بواجب أعتقده فأنتكب عن سبيله ؟ وأهل البيت ؟ أكانوا قد تناهوا فى الأدب وحسن
 الذوق ، فلم يشعروا الغريب بضجر أو ملل ؟ نعم لقد أحس بعد فوات الوقت أنه غريب فقد
 تبخرت من رأسه كل الفروض والأوهام . . .
 « أكننت من الغفلة بحيث لم ألح قيمات الوجوه ولم أفطن إلى نبرات الصوت فأستشف
 ما تكنه ضمايرهم أو تخفيه سرايرهم ؟
 « أمهني ذلك بقية يومى وأرقنى طول ليلى ، فأصبحت ولا هم لى إلا الإصلاح . . . ولم
 أطلق العودة إلى منزلى قبل أن أعمل على محو ما قد أكون سببته من مشقة ومضايقة ، فان
 ضميرى قلق ونفسى مضطربة .
 « ولكن علام القلق والحيرة ؟ ولم لا تدع ما كان ولا تلقى بالا إلى ما يكون ؟
 « لا . . . لا بد من الاعتذار فذلك أكرم . . . انتحيت ناحية من مقهى ، وكتبت
 ما ظننته اعتذاراً وأرسلته ، وبذلك أزحت عنى بعض ما شعرت به من هم .
 « ثم مرت أيام كانت أطول من سنين تبينت خلالها من شواهد لحنها من بعيد أن ظنى صدق
 وأن الأمر فوق ما قدرت .
 « عدت من جديد أستعرض الأحداث كلها . . . ماذا قلت ؟ وفهم تحدثت ؟ ثم ماذا كتبت ؟
 « لعلى أمتدى من وراء ذلك إلى مأخذ أو إدراك سببها واضعاً وتعليلها صحيحاً لهذا التحول
 المفاجئ ، ولكن أنى لى هذا فقد أعوزتنى الحيلة ؟
 « دارت برأسى أسئلة كثيرة وتماقت خواطر مختلفة .
 « أنترانى لم أحسن الاعتذار كما أخطأت فى بواعثه ؟ لقد كان من الممكن ألا أخطئ ،
 وكان ميسوراً ألا أسئ ، ولكنه الخطأ العاثر . . .
 « وما الدافع إلى كل هذا الاهتمام وذلك التفكير ؟ وماذا يعينيك من أمر فلان هذا ؟
 « أيهمك أن يتصل حبس المودة وأن تقوى رابطة الصداقة ، فأنت تشفق من القطيعة ؟
 « أترجو فلاناً هذا فيهمك رضا ويؤذك سخطه ؟ وهل تفكر فى منفعة عاجلة أو آجلة
 فأنت تخاف أن تفوتك ؟ أم هل تتوقع أن تراه بين آن وآن فأنت تخشى هذا اللقاء ويزعجك
 أن ينصرف عنك أو يتجهم لك ؟
 « لست ممن يحرصون على التحدث عن الصداقات والفخر بالتعرف إلى فلان أو فلان . ثم
 إن مقابلتكما كانت عارضة وبعدها فرقة قد تكون إلى الأبد . . . لقد التقيتما مصادفة وجمت
 بينكما ظروف طارئة ، ومن المحقق أنه إذا قدر لقاء فى المستقبل القريب أو البعيد فلن يكون
 إلا مصادفة أيضاً فلا يجمع بينكما بلد ولا وطن . . . الاقطار متباعدة والأسباب تكاد
 تكون منقطعة . . .
 « فما هذا الأسى الذى يعتربك ؟ ولم ترهق أعصابك بالتفكير فيما لعله أن يكون بدر منك ؟
 « فهل أتيت ذنباً ينكر أو شيئاً يعاب ؟
 « وماذا عليك لو أرحمت نفسك وأعفيتك مما يعينها ؟

من هنا وهناك

« أليس الأولى بك أن تنسى صفحة ما كادت تنشر حتى طويت ؟
« ولكن لا . . . ليس ذلك من طبيعى ولا هو من عادى ، فالضمير والخلق بفرضائ على
أن أحسن لا أن أسئ . ومن الواجب وقد لقيت إنساناً على خير حال أن افارقه كذلك على
الود فلا أرضى لنفسى أن يقرن عنده اسمى بذكرىات سيئة لو جرى على لسانه أو مر بخاطره
فكيف السبيل ؟ وما العمل لتنقية الجو من أدرانته ؟ ثم أسدل الستار على هذه الهاية الأليمة !
« فلا شرع فى تحسس الجو ، وقد أتيتحت لى الفرصة . . . على أنى ماكدت أند العزم
حتى لمحت من خلال الأفق حجاباً صفيقاً وهدوءاً هو بالعاصفة أشبه ، وتبينت ، من بعض
اللابسات ، أن الأمر إلى فساد ليس بعده صلاح .

« لم ؟ وكيف ؟ وما السبب فى اضطراب الجو وتسممه ؟ لا أدرى !
« استعرضت من جديد ما بقى عالقاً بالذاكرة من أحاديثى ، وما يمكن أن يتصور من
انجماهاة أو يحتمل التأويل من عباراته . . .
« أكانت الأحاديث هى السبب ؟ لقد كانوا إذاً ملائكة . . . فهل بهرنى نورهم فعميت
عن ذلك الضرام المستمر وهذه النار المشتعلة ؟ فلم أر إلا إشراقها وسنا ضوئها !
« أكانت الرسالة أس البلاء ومصدره ؟ فإذاً سببت ؟ وهل أخطأت التعبير ؟ أم ماذا
بين السطور ؟

« لا أذكر نص الرسالة وإن لم أنس موضوعها . . . فما زادت على ان تكون كلمة
اعتذار وشكر .
« كسبتها فى ساعة حيرة وقلق ، ولا شك أنى ما أردت إلا الخير فكيف انتقلت الأوضاع ؟
« لو كنت أفضيت بذات نفسى إلى إنسان لعبدت إليه أسوخته لعله يرشدنى ويهدينى
السبيل .

« ولكن أنى لى هذا ؟ فأنا السائل وأنا المجيب .
« وهكذا أضنانى الفكر فأنا أقضى الأيام أحاول التعليل والتأويل وأراجع الحساب . . .
ولا أزال . . .

« فأى ذنب جنيت وأى درس أفدت ؟
« لقد صر فى نفسى — ولو إلى حين — أن الثقة بالناس وهم باطل وأن الاطمئنان المطلق
إلى الأشخاص حق وضلال .

« كنت أقيس شعور الناس بشعورى ، وأزن الأمور بميزانى الذى نصبه لى العقل
أو الهوى ، أمنح ودى صافياً لمن توسمت فيه نقاء الضمير وصدق الطوية ، وإن لم يطل عهدى
بهدايقه ، فلم أكن أدخل الزمن فى حسابى لتقويم الصداقات أو تقديسها .

« ولم أكن أعرف النفاق ولا أحبه ، أوثر الصراحة وأخدع بمن يدعيها ، ولكنى كنت
أتحمل نتائجها . وهكذا ترائى أخلق لنفسى الهم وأكستوى بناره ، فأنا أعيش فى جو قائم حافل
بصنوف العذاب والألم التى صنعتها أنا ، على سلامة ضميرى وصفاء نفسى .

« لقد أضنانى الضمير القلق والنفس الحائرة ، فأنا مع الناس ولست منهم . ولو عرفت
ألا أبالى بشئ ولا أهتم مخلوق لىكنت فى حياة رغدة وعيش هنىء ، ولكن هكذا قدر
أن أكون . »

هذه قصة الصديق ، يا سيدى الدكتور . أفلا ترى معى أنه واحد من هؤلاء المعذبين

من هنا وهناك

في الأرض ؟ فهو وإن لم يزججه فقدان الكسرة والمليت على الطوى ، وإن لم يضنه الحرمان ، فقد فقد ما هو أعز وأغلى ، إنه فقد نفسه ولم يهتد إليها ، فهو معذب يشكو بؤس الحياة الروحية وما أقساه !

أو ليس أمثال هذا أشد بؤساً وشقاءً ممن فقدوا متعة الجسد وحرموا النعمة المادية ، فهم على نعمتهم الظاهرة وسعادتهم المحفوظة في عذاب أليم وشقاء دائم ؟
أليس هؤلاء أحق بالرحمة من سواهم ، لأن لهم « قلوباً تشعر ونفوساً تحس وضائراً تستحي ؟ »

لقد تضحك — يا سيدى — من سخفهم ، كما تأملت لغيرهم حين رأيتهم كثرة هائلة . ولكن هذا الضحك لن يفسر من الواقع شيئاً ، ولن يرد عليهم هدوءهم الذى فقدوه ، ولا طمأنينتهم التى يبحثون عنها فلا يظفرون بها .
فهاذا حدثنا عنهم ؟ وهل عندك الدواء لذلك الداء العياء ؟

عبد العزيز احمد

[بيروت]

٢

لا أجهل أن وقتكم ثمين ، وأنه أئمن من أن يصرف بعضه في قراءة كلتي هذه التى أبعثها إليكم مشفوعة منى بتجلى وإكبارى . لكن حافظاً في قلبي نزع إلى أن أكتب إليك ، حافظاً ملحاً شديداً أشعر بثقل عبئه على قلبي إن بقى فيه مكبوتاً ولم يخرج من فى ألفاظاً تنفّس بها نفسى وتأخذ روحى بعض راحتها وسلوانها .

أكتب إليك ومجلة « الكاتب المصرى » بين يدي ، هذه المجلة التى آثر لطفك وظرفك أن تكون مجلة القارئ لا مجلتك ، ليجد فيها كل ما يتلمسه في دنيا العلم والثقافة من معرفة ومتمعة . هاهى ذى أمامى بعددها الأخير ، أقرأ فيها القصة المحزنة التى دمجها براعك الصنّاع ، القصة التى قلت عنها إنها ليست بقصة بل هى حديث سرده . وهل كانت قصص الحياة وعبرها وآلامها إلا أحاديث يرويه التاريخ بقم الدهر ، وإذا أصيب الدهر من قديم بالحرس والمعنى كتمت أتم يا أدباءه ونوابه اللسانة الناطقة المعبرة عن حب الإنسانية وبعضها وآلامها وهنائها . هذه القصة التى قدمتها إلى الذين يحرقهم الشوق إلى العدل ، وإلى الذين يؤرقهم الخوف من العدل . وهل كان هذا الشرق العريض الفسيح إلا أمة انقسمت على نفسها إلى معسكرين كبيرين متنافرين ، فهؤلاء ظالمون وأولئك مظلومون ، وما فتىء المظلوم يتحرق إلى حقه حتى يجد الثوبة على صبر بذله ونفس استزفها ، وما فتىء الظالم مؤرق الجفن خشية من نعمة العدل وثورة الموتور . وحديث الشرق والظلم في الشرق والجهل وواد الحريات وقتل القابليات وحكم المحسوبيات وسلطانها حديث أخشى عليك مما يسوقه إليك من حزن وألم ومرارة وإن كنت أنت أعلم منى بأدوائه ، وأشفق عليه من أهله وأبنائه .

قصتكم هذه يا دكتور قصة الشرق عامة ، وقصتنا نحن العرب المسلمين خاصة ، قصة أخذت لها من فنك وبيانك ريشة الرسام البارع وليقته بجلوت منها صورة شرقية عربية صادقة تصور

من هنا وهناك

للجيل الحاضر وللأجيال المقبلة ما كان عليه الشرق وما هو على بعضه اليوم من ظلم احتماعى يسوغ وجود الطبقات ويجوز تسخير البشر واسترقاقه ويصور ما فيه من ضحول في الرحمة وجذب في الفضيلة وفسوة تكفي لأن تنسى النفي ما يلاقيه أخوه الفقير وجاره ذو المنة . ثم هي تصور ما كان عليه الشرق في فترة المظلمة وما هو على بعضه اليوم من جهل مستحكم ورشوة فاشية وسوء تربية وعقم تعليم زيادة على ما تصوره من سوء فهم للدين وتحريف للشرعة وتسخيرها حسب الهوى والمصلحة الفردية . فهل قصتك يا سيدي بعد كل هذا الذي تضمنته تبقى قصة صالح وأمين والحاج على وخديجة وسعيد وحدهم ، أم هي قصتي وقصتك وقصة الشرق كله بلا استثناء ؟

إنها حقيقتنا نحن جميعاً ، حقيقتنا التي أنكرتها نفوسنا يوم أخذتها العزة بالاثم ، ولكننا أظهرتها بكامل ما فيها من محاسن وقبائح ، ولو عريت من حسن فضحتنا ؛ ولو جاءت كلها محاسن لكانت تلفيقاً وخيالاً ورد تهمة واقعة ، ولكنها وسط بين هذا وذاك وإن تكن إلى القبح أميل منها إلى الحسن ، وهل أقمح من الظلم وإزهاق الحقوق واستباحة العرف ! وإني إذ أكتب إليك أشعر بشفقة يحس قلبي بدورها فترتاح لها نفسي ، شفقة تدفعني إلى الرحمة بهؤلاء المساكين المعذبين بالأرض . ويغيب مني أن أشعر بمثل هذا الشعور وأن أحل هذه العواطف الحزينة والأحاسيس الدائمة ، حتى لكأنني قد لاقيت ما لاقوه وعذبت بما عذبوا به من سقم وعدم وظلم وأنا المنعم ببلهنية الحياة ونعيمها والحمد للرازق المنعم . والطير الطليق في روضه لا يعلم ما يعانيه قعيد الأقاص حبيسها ، ولكني وإن كنت أبديت العجب من نفسي ، لن أنبجح فأعد ذلك مني فضيلة أنفخها في الناس دعوى عريضة ما دمت أشعر في نفسي بأنني إنسان ذو عاطفة وقلب وضئير . وإذ تختلج نفسي بكل هذه الأحاسيس والعواطف وحب الخير ، أود أن ألفت أنظار المصلحين في هذا الشرق إلى نقطة جوهرية هي أننا معاشر الشرقيين لم نزل نحمل في (طينتنا) بقية من خير ، ولم نزل طبائعنا تحمل بعض الميل إلى العدل والانصاف . فلننتهز وجود هذه الحالة ، ولنبارك فينا هذه الفطرة ، ولنعمل مخلصين قاسطين في إنمائنا ونشرها والدعوة إليها ؛ فلعلها تكون اللبنة الأولى التي سيبنى عليها عالم الفد حائط عدله الاجتماعي ، ويقيم عليها دستور الحرية والعدل والمساواة بين الناس . وإذ يتفضل الأستاذ الكبير فيقبل مني هذه الكلمة الخالصة يكون لي الشرف بأنني أرفع إليه عيم امتناني ووافر تقديري وشكري لما أسداه إلي من جيل .

عطاء محمد

[بغداد]